الرسالة

(١ كورنثوس ٣: ٩-١٧)

يا إخوةُ إنَّا نحنُ عاملِونَ مع اللهِ وأنتم حَرْثُ اللهِ وبِناءُ الله* أنا بحسَبِ نعمةِ اللهِ المُعطاةِ لي كبنَّاءٍ حكيمٍ وضَعتُ الأساسَ وآخرُ يبني عليهِ. فلْيَنظُرْ كلُّ واحدٍ كيفَ يبني عليه* إذ لا يستطيعُ أحدٌ أن يضعَ أساساً غيَر الموضوعِ وهو يسوعُ المسيح* فإنْ كان أحدٌ يبني على هذا الأساسِ ذَهَباً أو فِضَّةً أو حِجارةً ثمينةً أو خَشباً أو حشيشاً أو تبناً* فإنَّ عملَ كلِّ واحدٍ سيكونُ بيِّناً لأنَّ يومَ الربِّ سيُظهِرُهُ لأنَّه يُعلَنُ بالنارِ وستَمتحِنُ النارُ عملَ كلِّ واحدٍ ما هو* فمَن بَقيَ عملُهُ الذي بناهُ على الأساسِ فسينالُ أُجرَةً* ومَنِ احترق عملُهُ فسيخسَرُ وسيخلُصُ هو ولكن كمَن يمُرُّ في النار* أمَا تعلمون أنّكم هيكلُ اللهِ وأنَّ روحَ اللهِ ساكِنٌ فيكم* مَن يُفسِدُ هيكلَ اللهِ يُفسِده الله. لأنَّ هيكلَ اللهِ مُقدَّسٌ وهو أنتم.

التجلي

«لما تجلّيتَ قبل صلبك يا رب، شابه الجبلُ سماءً، وانبسطت السحابة كمظلة، وشُهد لك من لدن الآب، وكان حاضراً بطرس مع يعقوب ويوحنا بما انهم يكونون معك في حين تسليمك، حتى إذا شاهدوا عجائبك لا يجزعوا من آلامك. فأهّلنا أن نسجد لها بسلام، لأجل رحمتك العظمى» (من صلاة غروب عيد التجلّي).

تعيّد الكنيسة المقدسة في السادس من آب لتجلّي ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح على جبل ثابور، وهو العيد المعروف باللغة الشعبية بعيد الرب. وما هذه التسمية الشعبية إلاّ انعكاس لإيمان أبناء الكنيسة بربوبية، ألوهية، الرب يسوع التي تجلّت في حادثة التجلّي التي يسردها الإنجيليون متى (١٧: ١-٩) ومرقس (٩: ٢-١٣) ولوقا (٩: ٢٨-٣٦).

في إطار تهيئة تلاميذه كي لا يسقطوا ويتعثروا عندما يروه معلقاً على الصليب، اصطحب الرب يسوع ثلاثة منهم، بطرس ويعقوب ويوحنا، وصعد بهم إلى الجبل حيث «تغيَّرت هيئته قدّامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور. وإذا موسى وإيليا قد ظهرا لهم يتكلّمان معه. فجعل بطرس يقول ليسوع يا ربّ جيّدٌ أن نكون ههنا... وفيما هو يتكلّم إذا سحابةٌ نيّرةٌ ظلّلتهم وصوتٌ من السحابة قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. له اسمعوا» (متى ١٧: ١-٥).

عندما كان الرب يسوع مع تلاميذه في نواحي قيصرية فيليبس سأل تلاميذه «مَن يقول الناس إني أنا ابن الإنسان؟ فقالوا قومٌ يوحنا المعمدان وآخرون إيليا... قال لهم وأنتم مَن تقولون اني أنا. فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحي. فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان بن يونا ان لحماً ودماً لم يُعلن لك لكن أبي الذي في السموات... حينئذٍ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحدٍ انه يسوع المسيح. من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يُظهر لتلاميذه انه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً... ويُقتل وفي اليوم الثالث يقوم» (متى ١٦: ١٣-٢١). لم يرق لبطرس هذا الكلام ولم يستطع قبوله حتى انه انتهر الرب. فقال الرب لبطرس: «اذهب عني يا شيطان. أنت معثرةٌ لي لأنك لا تهتمُّ بما لله لكن بما للناس» (متى

العدد ٢٠١٥/٣١

الأحد ٢ آب

تذكار نقل عظام رئيس الشمامسة وأول الشهداء استفانوس

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر التاسع

١٦: ٢٣). بعد هذا الكلام مباشرةً تأتي حادثة التجلّي لتثبت فعلاً ما أعلنه بطرس بالنيابة عن باقي الرسل، أي عن باقي المؤمنين بالرب لمّا قبلوا بشارة الرسل، ان يسوع هو ابن الله والمساوي للآب في الجوهر، هو الإله الكامل. فالظواهر التي شكلت عناصر حادثة تجلي الرب يسوع من التماع الوجه والثياب البيضاء وظهور موسى وإيليا ثم السحابة البيضاء وصوت الآب الصادر منها والقائل «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت، له اسمعوا»، كلّها تدل على أن التجلّي هو بالدرجة الأولى إظهار لألوهة المسيح.

النور الذي أشرق من وجه يسوع وجسده حتى ان ثيابه صارت بيضاء كالثلج، ما هو إلا نور الألوهة الذي كان له منذ البدء والذي أخفاه حين «أخلى نفسه آخذاً صورة عبدٍ صائراً في شبه الناس» (في ٢: ٧). يقول القديس أفرام السرياني: «مجد ألوهته المخفيُّ في ناسوته أظهره للرسل على الجبل، فرأوا وجهه لامعاً كالبرق، وثيابه بيضاء كالنور. وكان التلاميذ يعاينون شمسَين: واحدةً في السماء، أي الشمس الطبيعيّة، وأخرى فائقة الطبيعة. الشمس الأولى ظاهرةٌ للتلاميذ وللعالم، وهي تَشِعّ في جَلَد السماء، وأمّا الثانية فتشعّ لهم وحدهم. «وصارت ثيابه بيضاء كالنور»، مُظهراً لهم بذلك أنّ مجد ألوهته كان يفيض من جسده كله، وأنّ النور يَشعّ من أعضائه كلها. فالسيد لم يُماثل موسى حين شعّ جسده ببهاء من الخارج فقط، بل كان مجد ألوهته فائضاً من ذاته، فضلًا عن أنّ المخلّص لم يُظهر لتلاميذه كامل مجده، بل أظهر لهم ما يُمكن لعيونهم أن تتحمَّل».

أما السحابة التي ظهرت فهي أيضاً سحابة الحضور الإلهي. فالسحابة في العهد القديم كانت ترافق الشعب العبراني في ترحاله في برية سيناء بعد خروجه من مصر، وكانت تشير إلى حضور الله بقوة وسط شعبه كما يعني الأصل العبري لكلمة «مجد». ويسوع هنا هو الرب الحاضر بقوة بين شعبه. هذان الحضور والمجد الإلهيان اللذان ترمز إليهما السحابة النيّرة تكللا بإعلان الآب السماوي عن بنوة يسوع الحقيقية له: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. له اسمعوا».

يبقى حضور موسى وإيليا في حادثة التجلّي. فهما يمثلان كل العهد القديم، موسى يمثّل الشريعة والناموس وإيليا يمثّل الأنبياء. والمسيح المخلّص هو رب الشريعة والناموس الذي كان «مربّينا للوصول إلى يسوع»، والمسيح هو مَن تحدث عنه الأنبياء وانتظره الشعب كي يخلّصهم. ومَن يخلّص إلا الله وحده؟

قلنا أعلاه إن حادثة التجلّي هي لتشديد التلاميذ وتحصينهم لكي لا يتعثروا عندما يروا الرب يسوع مرذولًا على الصليب كما تعثر بطرس عندما تحدث الرب عن آلامه قبل أن يتجلّى. لذا، لا عجب ان يكون فقط بطرس ويعقوب ويوحنا، من بين الرسل كلهم، هم وحدهم مع يسوع في بستان الزيتون عندما صار تسليمه للصلب. يقول القديس أفرام السرياني: «أصعدهم إلى الجبل لكي يريهم مجد ألوهته، فيدركوا انه مخلّص إسرائيل كما قال الأنبياء، ولئلا يعتريهم الشك حينما يشاهدون آلامه الطوعية التي كان مزمعاً أن يكابدها بالجسد من أجلنا».

هذا المجد الذي عاينه التلاميذ في جبل ثابور ما كان إلاّ تذوقاً مسبقاً للمجد الذي سيعاينونه يوم يقوم يسوع، لذا نرى الرب يوصي

الإنجيل

(متى ١٤: ٢٢-٣٤)

في ذلك الزمانِ اضطرَّ يسوعُ تلاميذهُ أن يدخلوا السفينةَ ويسبِقوهُ إلى العَبْرِ حتى يصرِفَ الجموع* ولمَّا صرفَ الجموعَ صعِد وحدَهُ إلى الجبلِ ليصلّي. ولمَّا كان المساءُ كان هناك وحدَهُ* وكانتِ السفينةُ في وسط البحرِ تكُدُّها الأمواجُ لأنَّ الريحَ كانت مُضادَّةً لها* وعند الهجعةِ الرابعةِ من الليل مضى إليهم ماشياً على البحر* فلمَّا رآه التلاميذ ماشياً على البحر اضطربوا وقالوا إنَّه خَيالٌ ومن الخوفِ صرخوا* فللوقتِ كلَّمهم يسوعُ قائلًا ثِقوا أنا هو لا تخافوا* فأجابه بطرسُ قائلاً يا ربُّ إن كنتَ أنتَ هو فمُرني أن آتي إليك على المياه* فقال تعالَ. فنزل بطرسُ من السفينةِ ومشى على المياه آتياً إلى يسوع* فلمَّا رأى شِدَّةَ الريح خاف وإذ بدأ يغرَقُ صاح قائلاً يا ربُّ نجّني* وللوقت مدَّ يسوعُ يَدَهُ وأمسك بهِ وقال لهُ يا قليلَ الإيمان لماذا شككتَ* ولمّا دخلا السفينةَ سكنَتِ الريح* فجاءَ الذين كانوا في

السفينةِ وسجدوا له قائلين بالحقيقةِ أنت ابنُ اللهِ* ولمَّا عبَروا جاءوا إلى أرض جَنّيسارَتْ.

تأمل

«فإن عمل كل واحدٍ سيكون بيِّناً لأنَّ يوم الربِّ سيُظهره لأنَّه يُعلنُ بالنارِ وستمتحنُ النارُ عملَ كلِّ واحدٍ ما هو».

لا تعتقد، يا أخي، أنك سوف تعيش وقتاً طويلاً على الأرض. ولا تنصرف إلى حياكة الأفكار والأعمال الشريرة. سوف يأتي أمر الرب بغتة فيجدك تخطأ. عندها لن تجد وقتاً للتوبة وللغفران. ماذا تقول للموت، يا أخي، في ساعة الانفصال؟ آنذاك لن يُسمح لك بلحظة واحدة. لقد اعتقد الكثيرون أنهم سوف يعيشون طويلاً على الأرض، فوفد الموت بغتةً، فوجد رجلاً خاطئاً غنياً يحسب انه سوف يعيش طويلاً، وفي راحة لسنين كثيرة، فيعدّ ثروته بالأنامل معتبراً أياها كافية لسنين طوال. أتى الموت في لحظة واحدة واختفى كل حساب، كل غنى، وكل اهتمام بالزمن الباطل.

من جهة أخرى، جاء الموت أيضاً فوجد رجلاً صالحاً يجمع كنزاً تلاميذه أن «لا تُعلموا أحداً بما رأيتم حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات» (متى ١٧: ٩). الكنيسة وعت ارتباط حَدَث التجلّي بحدث الصلب والقيامة فرتلت: «تجلّيتَ أيها المسيح الإله في الجبل، وحسبما وَسِعَ تلاميذك شاهدوا مجدك، حتى عندما يعاينونك مصلوباً يفطنوا أن آلامك طوعاً باختيارك، ويكرزوا للعالم انك انت بالحقيقة شعاع الآب» (قنداق العيد).

الإيمان والشكّ

يترنّح المؤمن في حياته مع المسيح بين الإيمان والشكّ، بين إيمانه بأنّ الربّ يسوع تجسّد من أجل خلاصنا وأنّه سيبقى معنا إلى منتهى الدهر (مت ٢٨: ٢٠)، وبين ضعفه وعدم قدرته على الوثوق بما وعدنا به الربّ، فيشكّ ويسقط. غير أنّ الربّ لا يخلف بمواعيده فيلتقطنا مادًّا يده لمعونتنا (مت١٤: ٣١). هذا ما تطالعنا به الكنيسة المقدّسة من خلال الفصل الإنجيلي الذي تقرأه على مسامعنا في هذا اليوم المبارك (مت١٤: ٢٢-٣٤)، حيث طلب الربّ من تلاميذه، بعد إطعام الجموع، أن يسبقوه إلى العبر. فصعدوا إلى السفينة ليعبروا إلى الجهة المقابلة، غير أنّ الرياح في تلك الليلة كانت قويّة جدًّا وصارت السفينة تتخبّط في الأمواج العاتية. في تلك الأثناء كان الربّ يسوع قد صعد إلى الجبل منفردًا ليصلّي. وفي آخر الليل، وكان التلاميذ ما زالوا في السفينة التي تتقاذفها الأمواج، أتى الربّ إليهم ماشيًا على المياه، من دون أن يصيبه شيء، فارتعد التلاميذ ممّا شاهدوه. إلاّ أنّ الربّ هدّأ من روعهم قائلًا لهم «أنا هو». أمّا بطرس، ولكي يتأكّد من أنّه هو الربّ، طلب منه أن يأمره بالمجيء إليه على المياه، أن يفعل ما يفعله الربّ نفسه. وهكذا صار، فمشى بطرس على المياه متّوجهًا نحو الربّ يسوع، غير أنّ خوفه من قوّة الرياح جعله يشكّ، فأخذ يغرق وصرخ طالبًا المعونة من الربّ. فمدّ الربّ يده وأمسك به وخلّصه وعيّره لقلّة إيمانه، ولمّا دخلا السفينة هدأت الرياح.

هذه الحادثة تقابلها في إنجيل متّى حادثة مشابهة (مت ٨: ٢٣-٢٧)، حيث كانت السفينة تتخبّط وسط الأمواج العاتية، إلاّ أنّ الربّ كان حينئذٍ معهم في السفينة ولكنّه كان «نائمًا». وحين أيقظوه ليخلّصهم، عيّرهم لقلّة إيمانهم وانتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم.

بالرغم من كلّ ما عمله الربّ يسوع معنا، وبالرغم من إيماننا به على أنّه هو المسيح ابن الله مخلّص العالم، قد نقع في الشكّ، خاصّة وقت الشدّة، حيث يوضع إيماننا على المحكّ. فمع أنّ الربّ وعدنا بأنّه لن يتركنا أبدًا، نظنّ، في وقت الضيق، أنّه غافلٌ عنّا (نائم)، أو أنّه بعيد عنّا (على الجبل يصلّي)، وننسى أنّ أساس الإيمان هو الثقة الكاملة بالله، وهو الاتكال الكلّي عليه، هذا الإيمان الذي يعطينا القدرة على القيام بكلّ ما يقدر الله على فعله حتّى ولو كان مخالفًا للطبيعة (المشي على المياه) (عب١١: ١). يعني هذا أنّه علينا أن نصدّق كلّ كلمة علّمنا إيّاها الربّ، وأن نثق به ثقةً عمياء.

يشير الإنجيلي متّى في ذكره لهذه الحادثة إلى عناصر كتابيّة أساسيّة، تُظهر لنا صورة الربّ يسوع المسيح الحقيقيّة، التي يعلنها للتلاميذ، على أنّه ابن الله. فبمضّي الربّ يسوع إلى التلاميذ ماشيًا على المياه إشارة إلى قدرته الإلهيّة:«هكذا يقول الربّ الجاعل

في البحر طريقًا وفي المياه القويّة مسلكًا» (إش٤٣: ١٦)، «في البحر طريقك وسبلك في المياه الكثيرة وآثارك لم تُعرف» (مز٧٧: ١٩)، «فأجاب أيوب وقال صحيح قد علمتُ أنّه كذا، فكيف يتبرّر الإنسان عند الله إن شاء أن يحاجّه لا يجيبه عن واحد من ألف، هو حكيم القلب وشديد القوّة ... الباسط السموات وحده والماشي على أعالي البحر» (أي٩: ١–٨)، «هل انتهيت إلى ينابيع البحر أو في مقصورة الغمر تمشيّت» (أي ٣٨: ١٦).

لقد فهم التلاميذ ما حدث لذلك خافوا، لأنّ ما فعله الربّ يسوع يختصّ بالله وحده. لم يكونوا بعد قادرين على استيعاب ذلك. إلاّ أنّ الربّ قطع دابر الشكّ معلنًا: «أنا هو». فقد كان يقول لتلاميذه، من خلال ذلك، إنّ ما ترونه صحيح، فإنّي الإله الحقيقي، وأنا قادر على إنقاذكم، فلا تخافوا: «أنتم شهودي يقول الربّ وعبدي الذي اخترته لكي تعرفوا وتؤمنوا بي وتفهموا أنّي أنا هو. قبلي لم يُصَوَّرْ أله وبعدي لا يكون» (إش٤٣: ١٠)، «أرسل يدك من العلاء. أنقذني ونجّني من المياه الكثيرة ومن أيدي الغرباء» (مز١٤٤: ٧).

ومع هذا كلّه أراد بطرس أن يجرّب الربّ الإله، فقال له «يا سيّد إن كنت أنت هو فمرني أن آتي إليك على المياه»، ناسيًا الوصيّة الكتابيّة «لا تجرّب الربّ إلهك» (مت٤: ٧؛ تث٦: ١٦). كان المطلوب من بطرس فقط أن يثق بكلام الربّ، ومع ذلك حقّق له الربّ مطلبه، وحينذاك ظهر ضعف بطرس البشري، إذ شكّ ولم يذكر أنّ الربّ له سلطة إلهيّة على الرياح العاتية (مت٨: ٢٦–٢٧): «يهدّئ العاصفة فتسكن وتسكت أمواجها» (مز١٠٧: ٢٩).

ما لم يدركه التلاميذ في الحادثة الأولى عند تسكين الربّ يسوع للعاصفة وانتهاره للرياح، أدركوه في الحادثة الثانية التي تقرأها الكنيسة اليوم على مسامعنا. لقد أزال وجود الربّ يسوع بينهم خوفهم وثبّت إيمانهم به، لذلك عندما دخل السفينة سجدوا له وأعلنوا بأنّه هو ابن الله (مت١٤: ٣٣).

إنّها مسيرة المؤمن الدائمة بين الشكّ والإيمان، والملاحظ أنّ المؤمن لا يتعلّم من المرّة الأولى، وهو يطلب دائمًا إشارات ملموسة وعلامات ماديّة تراعي حاجاته العقليّة إلى اليقين. إلاّ أنّ الله لا يريد عقولنا ولكنّه يطلب قلوبنا، والقلب لا ينتظر التأكيدات الماديّة العقليّة لكي يؤمن بالله، لكنّه يسعى وراءه لأنّه يدرك محبّة الله له ويأمر العقل بقبوله.

وكما ذكرنا أعلاه، فإنّ متّى الإنجيلي يشير إلى هذا الشك الذي يرافق المؤمن ولكنّه يدعوه إلى الإيمان بالله، وبأنّه معنا على الدوام. إنّ الربّ هو عمّانوئيل الذي تفسيره الله معنا (مت١: ٢٣؛ إش ٧: ١٤): «وأمّا الأحد عشر تلميذًا فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع. ولمّا رأوه سجدوا له ولكنّ بعضهم شكّوا. فتقدّم يسوع وكلّمهم قائلاً: دُفع إليّ كلّ سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا كلّ الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كلّ الأيّام إلى انقضاء الدهر. آمين» (مت٢٨: ١٦–٢٠).

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

جيّداً سماوياً بالصلاة والصوم وهو يتطلّع إلى الموت دائماً أمام عينيه، لا يخاف من مجيئه ومن انفصال الجسد.

هكذا توقع أنت أيضاً الموت في كل يوم، وكن حكيماً وروحانياً. توقع في كل يوم انفصالك عن هذا العالم ومثولك أمام منبر الرب. هيّء في كل يوم مشعلك، وكن مستعداً حاذقاً. لا تدعه ينطفئ بل أوقده دائماً بالصلوات والدموع. جاهد في كل مناسبة لأنه سوف يأتي زمن الالحاد، زمن التهامل والكسل، زمن القساوة، وعندها لن يكون هناك وقتٌ للتفكير بالصالحات إذ تكون قد ضللت.

فلنكن ساهرين، محبين لله ومجاهدين لكي نظفر في الحرب على الشرير. إن كنّا نتوقع الموت أمام أعيننا في كل يوم، فلن نفشل أبداً. لنتعرَّ إذاً، من الاهتمامات الدنيويّة، لنزدرِ الأرضيات كشيء عابر. آنذاك أيها الحبيب سوف تنال إكليل الظفر.

القديس أفرام السرياني